رسالة إلى مُلحِد

إعداد

د. عبد العزيز بن ريس الريس

المشرف العام على شبكة الإسلام اليوم

١٤٤٣هـ

المحتويات

مقدمة المؤلف ١

مقدمات عامة ٢

(١) المقصود بالإلحاد في هذه الرسالة ٢

(٢) الملحدون من حيث الجملة أقسامٌ ثلاثة ٢

(٣) دعوة الملحد إلى الإسلام أسهل من دعوة اليهودي والنصراني ٣

(٤) مناقشة الملحد سهلة للغاية إذا أُتِيَ الأمر من بابه ٣

(٥) لا يصح مناظرة الملاحدة بالقواعد الكلامية ٦

(العنصر الأول): البحث عن الحقيقة ٩

(العنصر الثاني): بطلان ما عليه الملحد ١٠

(العنصر الثالث): غاية ما عند الملحد شكوك فقط ١١

(العنصر الرابع): الأدلة على وجود الله ١٣

- أولًا: بقاء القرآن بلا تحريف ولا تغيير ١٤

- ثانيًا: قوله تعالى: (أم خُلقوا من غير شيءٍ أم هم الخالقون) ١٥

- ثالثًا: الآيات على إتقان خلق الله ١٦

- رابعًا: قوله تعالى: (ربنا الذي أعطى كل شيءٍ خلقه ثم هدى) ١٨
- خامسًا: قوله تعالى: (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثًا وأنكم إلينا لا ترجعون) ١٩
(العنصر الخامس): اعتراضات وأوهام أوقعت بعض الشباب في الإلحاد ٢١
- (١) قولهم: لابد من الشك حتى يحصل اليقين ٢١
- (٢) قولهم: لا يوجد شيء يقيني ٢٣
- (٣) قولهم: لا نؤمن إلا بما نراه ٢٤
- (٤) قالوا نحن نعصي الله ونشعر بالضيق، فنلحد لنرتاح ٢٥
- (٥) المبالغة في الثقة بالنفس ٢٧
- (٦) التفاوت في أقدار الله ٢٨
- (٧) نظرية داروين ٣١
(الخاتمـــــة) ٣٤
كلمـــة للمسلميـــن ٣٥

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد:

فقد اطلعت على تفريغٍ لكلمة كنت قد سجّلتها ضمن سلسلة (اللقاء المفتوح العاشر) بعنوان: (**رسالة إلى ملحد**) قام بإعدادها بعض الإخوة ووضعوا لها فهرسًا، أسأل الله أن يتقبَّلها وأن يجعلها نافعةً لعباده، إنه سميع قريب مُجيب الدعاء.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

د. عبد العزيز بن ريس الريس

المشرف على موقع الإسلام العتيق

http://islamancient.com

١٤ / ٦ / ١٤٤٣هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمات عامة:

المقدمة الأولى: مرادي بالملحد في هذه الرسالة من يُنكر وجود الله، ولا أريد الملحد بالمعنى العام وهو كل من ألحد في أسماء الله وصفاته كالجهمية أو المعتزلة أو الأشاعرة.

المقدمة الثانية: الملحدون من حيث الجملة أقسامٌ ثلاثة:

- **القسم الأول:** نشأ ملحدًا ومُنكرًا لوجود الله.
- **القسم الثاني:** كان يهوديًّا أو نصرانيًّا أو بوذيًّا أو غير ذلك من الأديان، ثم ألحد وجحد وجود الإله سبحانه وتعالى.
- **القسم الثالث:** كان مسلمًا ثم ألحد وجحد وجود الله -والعياذ بالله-.

والإلحاد في اليهود والنصارى كثير، لاسيما النصارى لأنهم أكثر عددًا من اليهود، والإلحاد في المسلمين -ولله الحمد- قليلٌ للغاية بل أقلُّ من القليل، وسيأتي الكلام على هذا -إن شاء الله تعالى- وليس معنى كونه قليلًا أن يُهمل وأن يُترك، بل يُسعى للعلاج والإصلاح، فإنَّ المرض -ولو كان قليلًا- إذا كان خطيرًا فإنه يُسعى

في علاجه تارةً بالوقاية -وهي الأكثر-، فإنَّ الوقاية خير من العلاج، وتارةً بعلاج من تورَّط به.

المقدمة الثالثة: إنَّ دعوة الملحد للإسلام أسهل بكثير من دعوة النصراني أو صاحب دينٍ للإسلام؛ لأنَّ الملحد كالإناء الفارغ فدعوته ليست صعبة، واليهودي والنصراني كالإناء الممتلئ، وقد جرَّبت هذا عندما كنت في إحدى الدول المستقلة من روسيا في أوربا الشرقية، وجرت المناقشة والدعوة بفضل الله وكرمه لأناسٍ من النصارى ومن الملحدين، ووقت النقاش مع الملحد أقل بكثير من وقت النقاش مع النصراني، وقد أسلمَ من الملحدين عددٌ ولله الحمد، وأسلَمَ من النصارى عددٌ، لكنَّ النقاش مع الملحد أسهل وأسرع من النقاش مع النصراني؛ لأنَّ النصراني إناء مليء فيحتاج إلى تخلية ثم تحلية، وعنده شبهات دينية وغير ذلك، بخلاف الملحد فإنه على خلاف هذه الحال.

المقدمة الرابعة: مناقشة الملحد -من أي قسم من الأقسام التي تقدم ذكرها- سهلة للغاية ولا تحتاج إلى جهد كبير إذا أُتيَ الأمر من بابه، كما قال سبحانه: ﴿**وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا**﴾ وذلك أنَّ أصل مناقشة الملحد: ذِكرُ الأدلة والبراهين على وجود الله سبحانه وتعالى، والأدلة العقلية من الحس والمشاهدة على وجود الله كثيرة للغاية، ثم بعد ذلك غاية ما عند الملحد شبهات يُثيرها للتشكيك، والجواب الإجمالي من جهتين:

الجهة الأولى: أنه إذا أثبتَّ وجود الله -وهو ثابت بالأدلة العقلية والحسية- فقطعًا أنَّ الله مُغايرٌ لنا، ولا يمكن أن يكون المُوجِد والخالق كالمخلوقين والموجودين، بل يختلف عنا، وهذا الذي أوجَدَنا من العدم وأحكَمَ خَلْقنا وأوجدَ العالم وأحكمهُ وله فضائلهُ العظيمة وأفعالهُ الكريمة وصفاتهُ العُليا وأسمائه الحسنى قطعًا هو مختلف عنَّا سبحانه وتعالى.

فإذا كان كذلك فما يوجد من إشكالات لا ينبغي أن تُثار على الرب سبحانه؛ لأنه سبحانه مختلفٌ عنا وهو أكمل من خلقه، فهذه الإشكالات إنما جاءت لضعف العقل البشري، فالمُستشكل بشر وهو لا شيء عند الرب سبحانه، فإشكاله لا قيمة له فينبغي أن يُسلَّم للرب فيما استشكل بما أنه سلَّم لعظمته.

وأُوضِّح هذا بمثالٍ تقريبيٍّ: لو أنَّ هناك رجلًا متميِّزًا في الطب وقد أحكمه وضبطه، وأصبح مُغايرًا للأطباء، ووُجد طبيبٌ مبتدئ وعنده إشكالات، فمثل هذه الإشكالات إن وَجد جوابها فالحمد لله، وإن لم يجد جوابها فمبدئيًّا يُسلم لهذا الطبيب لأنه أكثر علمًا وخبرةً، وهذا مع البشر فكيف مع الخالق سبحانه؟

الجهة الثانية: أكثر هذه الإشكالات إذا تدبَّرتها ترجع إلى علم الغيب، فإذا أقررنا بوجود الرب وأنه مُغايرٌ لنا، فأخبَرَنا الربُّ بمُغيِّبات فلا يصح لعقولنا أن ترُدَّ هذه المغيِّبات؛ لأنَّ عقولنا لا تعلمها، وعدم علمنا بالشيء لا يدل على أنه ليس علمًا أو

غير صحيح، وعدم علمنا بالحكمة لا يدل على أنه ليس أمرًا محكمًا ولا متقنًا، وهذه القاعدة إذا ضبطناها نفعتنا كثيرًا.

وأُقرِّب ذلك: لو أنَّ مريضًا اجتمع عليه عشرة من الأطباء المتميزين العارفين وحكموا عليه بإجراء عملية جراحية، ولو لم تُجر هذه العملية فسيموت، فقال المريض: أقنعوني عن العملية الجراحية... فحاول الأطباء أن يُقنعوه، فما استطاع أن يستوعب لعدم علمه بالطب، فقال: بما أنني لم أستوعب فلن أسمح لكم بإجراء العملية الجراحية... فكل عاقل يعيب عليه؛ لأنه ليس متخصصًا ولا عالمًا فكان المفترض أن يسلِّم الأمر للعارفين الموثوقين، وهذا في بشر، فكيف مع رب البشر الخالق سبحانه وتعالى؟

فإذن عدَمُ علمِ هذا المريض بالحكمة التي ذكرها له الأطباء ليس نفيًا للحكمة، فعدم علمنا بالشيء ليس نفيًا للشيء، فإذا أخبرنا الرب سبحانه بالغيبيات فهي أمور غائبة عنا، فإذا كانت غائبة عنا، فموقفنا تجاه هذه الغيبيات التسليم، لأنه ربنا وخالقنا وتميِّز عنا وعدم علمنا به ليس نفيًا له.

إذا فُهم هذا، فسينفتح باب كبير في كشف الشبهات التي يُثيرها الملاحدة، وسيُغلق باب كبير على المشككين الذين يريدون تشكيك أبناء المسلمين في ربهم سبحانه وتعالى، فغاية ما عند هؤلاء إثارة الشبهات، فهم يدورون حول هذا، وليس عندهم بناء وإنما الهدم، إلا في أمر واحد -وهذا عند بعضهم- وهي نظرية داروين

فجعلوها بناءً، وسيتبيَّن أنَّ هذا البناء لا شيء، وأنه بناء على أساس هشٍّ لا قيمة له كما سيأتي بيانه -إن شاء الله تعالى-.

المقدمة الخامسة: لا يصح أن يُناظَرَ الملحدون مِنَ الغربيين أو ممن ألحد من أبناء المسلمين بالقواعد الكلامية، فاليوم علم الكلام هُجر -ولله الحمد- وأصبح الناس في غفلةٍ عنه، وهناك أدلةً عقليةً يتفق عليها العقلاء دون حاجة إلى قواعد المتكلمين.

وقد رأيت بعضهم عند مناقشته لهؤلاء القوم يأتي بقواعد المتكلمين، وهذا ضرره كبير، فإنَّ علم الكلام في ضعف -ولله الحمد- بل هُجر إلا ذكرًا في بعض الجامعات وقلَّ المُتبنون له، فينبغي أن يُسعى إلى ازدياد هجره وعدم الالتفات إليه لا أن يُحيا بُحجَّة مناظرة الملحدين.

فبعضهم كـ(العجيري) ناظرَ شابًّا سعوديًّا في مناظرة شاعت وانتشرت، فصار العجيري يُورد على هذا الشاب أدلة من قواعد المتكلمين، والشاب ضعيف وهزيل في باب الشرعيات وفي باب المناقشة في العقليات، فلما ناقشه العجيري وأتى بمثل هذا انبهرَ كثيرون، ومما انبهروا به إيرادهُ لمثل هذا الكلام، لأنه جديدٌ بالنسبة إليهم، وهذا العلم قد هُجر، وما فيه من خيرٍ دلَّ عليه العقل ويُطرح بطريقة سهلة ولا يُحتاج لقواعد المتكلمين، لكن من لا يدري ينبهر من الشيء الجديد بالنسبة إليه.

فمفاسد هذه الطريقة كبيرة في إحياء علم الكلام من جهة أنَّ من سيدعو للإلحاد كأمثال هذا الشاب أو من يُتابع مثل هذه المناظرة ممن ينصر هذا الشاب سيدرس علم الكلام حتى يستطيع أن يواجه العجيري وأمثاله، ومن هو مُحب للعجيري من أبناء المسلمين وفرِحَ بكسر هذا الرجل سيدرس علم الكلام ليزداد حُجَّةً وقوةً في الرد على الملحدين.

فهؤلاء خُدعوا وظنوا أنَّ الرد على الملحدين يكون بهذه القواعد، وهذا غلط، فلا يزال أهل الإسلام يردون على الملحدين قبل أن يوجد علم الكلام ويشيع وينتشر بين المسلمين، فللإمام مالك والشافعي وأحمد وغير واحد من أئمة الإسلام، ولأبي حنيفة، كلامٌ قويٌّ في الرد على الدهريين والملحدين، فلسنا في حاجة إلى هذه القواعد الكلامية، وليتق الله من يستخدم هذه القواعد الكلامية في مناظرة هؤلاء القوم ألَّا يكونَ سببًا لإحياء علم الكلام الذي قد اندحر وضعف ولله الحمد.

وممن اشتهر في مناقشة الملحدين رجلٌ فاسد للغاية وهو عدنان إبراهيم، فهو في نفسه يعيش شكًّا وحيرةً، وأخذَ يُناقش الملحدين ويطرح قواعد في مناقشتهم، وهو يعترف على نفسه أنه يشك ما بين حين وآخر ثم يرجع لإيمانه، فهو رجل يعيش حيرة وشكًّا لأنه زاغ عن الصراط المستقيم.

فعدنان إبراهيم زرعَ في الشباب المسلم أمرًا سيئًا للغاية وهو تعظيم الشك وإضعاف اليقين، ونتيجة هذا جعَلَ الشاب الضعيف في مداركه والقليل في خبرته

ومعارفه يُعجَب بمثل هذا فينساق وراءه، فيشك في دينه، وقد يعود وقد لا يعود، لذا ألحد جماعة بسبب عدنان إبراهيم وطارق السويدان وأمثالهما.

العنصر الأول

(البحث عن الحقيقة)

البحث عن الحقيقة مطلبٌ مهمٌ في الأمور كلها، وفي الصغار قبل الكبار، فكيف إذا كان في أكبر شيء وهو وجود الباري والخالق سبحانه وتعالى؟ فينبغي أن نسعى إلى طلب الحقيقة وأن نبذل الجهد الكبير في تحصيلها، وألا نركن إلى الشكوك والأوهام والدوران في فلك الشبهات ونترك لأجل هذا الأمور اليقينية والظاهرة والبيِّنة، والحقيقة في إدراك الباري سبحانه أوضح من الشمس في رائعة النهار أو كما يُقال في رابعة النهار، وأوضح من الجدار الذي تراه أمامك، فهو واضح للغاية لمن فتح قلبه وعينه وتبصَّر الأمور بالحقيقة.

العنصر الثاني

(بطلان ما عليه الملحد)

إنَّ ما يسير عليه الملحد من إنكار وجود الباري والله وتالله وبالله خطأ شنيعٌ ومخالفٌ للأدلة العقلية والمحسوسة، فوجود الله أوضح من الشمس في رائعة النهار ومن اليد التي تشاهدها وتلمسها بالأخرى، فما تسير عليه -أيها الملحد- أمر خطأ للغاية، وصدقني ولا أريد أن أجرح شعورك بهذا لكن لابد أن أكون صريحًا، فإنَّ الطبيب إذا أراد أن يُعالج المريض فلابد أن يكون صريحًا حتى يستفيد المريض، صدقني إنَّ القول بالإلحاد غباء ما بعده غباء، وسذاجة ما بعدها سذاجة، والله وتالله وبالله إنَّ وجود الله أظهر من وجود ما تراه أمامك، لكن لمن تدبَّر، فتأكد أنك تسير على طريق خطأ وضلال بل غباء بمعنى الغباء، وأؤكد أنه غباء لأنَّ بعض الشباب يُؤتى باسم الذكاء وسعة الاطلاع والحرية الفكرية والانفتاح في الفكر وعدم التقيُّد ...، فيخدعون المسكين بهذه العبارات الحسنة فيُفتح له باب الشك ثم يقع في الإلحاد، وحقيقة الأمر غباء وسذاجة ورجعية في الفكر وتأخر في النظر، فكيف يشك من له عقل في وجود الباري سبحانه وتعالى؟

العنصر الثالث

(غاية ما عند الملحد شكوكٌ فقط، وليس عنده ما يزيد على ذلك)

ينبغي أن تعلم أنَّ الشك ليس محمودًا، وأُقرِّب هذا بمثال: لو أنَّ هناك طالبين يختبران، الأول على يقين بإجابته ويُجيب إجابةً سريعة ومتقنة، والثاني شاكٌّ في الإجابة، فلا شك أنَّ الأول أكمل، والثاني أنقص، ولا يختلف في هذا عاقلان، فغاية ما عند هؤلاء شكوكٌ وهم يدورون في بحار الشك، فيذهبون ويجيئون في الشك، وإلا لو كانوا عقلاء ويسعون للكمال لما التفتوا للشكوك، فلذلك من يدعوك اليوم للشك كعدنان إبراهيم وأمثاله فهو يدعوك للسُّفل، مثلك كمثل الطالب الذي قد ضبط مادته ودخل الاختبار وعرف الإجابة اليقينية ويريد أن يكتبها والوقت محدود، فجاء رجل وقال: ما رأيك أُشكك والشك أحسن لك؟ فصدقه هذا المسكين فشكَّ ثم أخذ محتارًا وانتهى الوقت ولم يُجب، فأصبح من الراسبين وفي الدراسة من المتأخرين، والسبب الشك.

فلذلك الذي يدعوك إلى الشك يدعوك إلى الرجعية والتخلف والغباء والجهل، والله لا يدعوك إلى معرفة ولا إلى تقدم ولا إلى تفتح، والشك يورث الحيرة، والحيرة مرض، وكبِّر هذا ومثِّله في المثال السابق الذي ذكرته في الطالبين الذين دخلا الاختبار، أحدهما على يقين من إجابته ويُجيب بنفس مطمئنة والثاني شاكٌّ وحيران،

فشتان بينهما، هذا أحسن من ذاك ولا شك، وهذا أكمل وذاك ناقص، وهذا تقدم وهذا تأخر، وهذا أتقن وهذا أفسد.

فلذلك علاج الشك رفعهُ بالنظر في أدلة وجود الله العقلية الكثيرة للغاية.

العنصر الرابع

(الأدلة على وجود الله)

سأذكر أدلة على وجود الله وفي المقابل أتحدى صغيرًا أو كبيرًا أن يأتي بدليل واحد على عدم وجود الله، ففرقٌ بين ذكر مسألة فيها دليلان متعارضان، وأحدهما مثبت والآخر ناف ومسألة وجود الله المتواترة في أدلتها العقلية والحسية والمخالف لها ليس عنده دليل على دعاواه، وغايته ناف، كما سيأتي بيانه -إن شاء الله تعالى-.

وقد اتصل عليَّ أناس متفرقون ممن ابتُلوا بهذا الإلحاد -وهم قلة- والله ما أخذت المناقشة معهم ربع ساعة إلى نصف ساعة ولا أظنها وصلت نصف ساعة، ومناقشتهم سهلةٌ جدًا للغاية، وغاية ما عندهم شكوك وشبهات، فأدلة إثبات وجود الله تقطع عليهم الطريق، فكل شك أو شبهة يوردونها ترجع إلى مساواة الخالق بالمخلوق، ولا يصح أن يُسوَّى بينهما، أو ترجع إلى عدم فهمهم للشيء الذي شكَّ فيه، وعدم الفهم لا يدل على النفي، وعدم العلم لا يدل على نفي العلم، أو أمر غيبي والغيب إذا كان الباري مختلفٌ عنَّا فقطعًا هو مُغايرٌ لنا، فما أخبرَ به من الغيبيات وهو مُغايرٌ عنا لا يصحُّ لأحدٍ أنْ ينفيه، فعدمُ العلم بالغيب ليس نفيًا للغيب، وعدم العلم بالشيء ليس نفيًا له، وهذا إذا ضُبط انفتح باب إشكال كبير.

ومن الأدلة على وجود الله:

الدليل الأول: بقاء القرآن بلا تحريف ولا تغيير.

القرآن آيةٌ من آيات الله العجاب والعظام، فالقرآن نفسه هو القرآن في شرق الأرض وغربها، والآية هي الآية في شرق الأرض وغربها، بل السورة هي السورة في شرق الأرض وغربها، وترتيب الآيات هو ترتيب الآيات في شرق الأرض وغربها، بل من قرون والقرآن واحد، اقرأ الكتب التي أُلفت قديمًا من كتب الإسلاميين وغير الإسلاميين ومن العلماء وغير العلماء، إذا نقلوا عن القرآن ينقلون آية تجدها نفسها لم تتغير، يا لله ما هذا العجب؟ ما هذا الذي يبقى قرونًا لا يتغير؟ وهذا خلاف ما جرت به العادة، فالعادة أنَّ الكتب إذا بقيت زمنًا تتغير، هذا ينسخها فتتغير وهذا يزيد وهذا ينقص، مع ملاحظة أنه لا يوجد كتاب في الدنيا نُسخ وكُتب مثل القرآن، لأنَّ المسلمين كثيرون عبر القرون.

وفي الأزمان الماضية يُنسخ بالكتابة ولم تأت الطباعة إلا مؤخرًا، ومع ذلك لم يتغير وإذا غُير يُكشف مباشرة، بل لو غُيرت فيه حركة، فلو غُير قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾ إلى: (ذلك الكتابَ) أو (ذلك الكتابِ) لكُشف، وهذا إذا تفكَّر فيه العاقل وتدبَّرهُ وجدهُ حُجَّة ظاهرة وبرهانًا ساطعًا على أنه حقٌّ من عند الله، وهو مصداق قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

ثم هناك براهين كثيرة على صدق القرآن فيما دلَّ عليه القرآن، فقد دلَّ القرآن على معاني كثيرة مما ذكره الأنبياء الماضون ومما دعت إليه الرسل ومما يأتي في المستقبل، وقد رأيناه رأي العين.

الدليل الثاني: قال سبحانه: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾.

هذه آية من القرآن ولا أحتجُّ عليك -أيها الملحد- بأنها آية، وإنما بمدلولها سواء اعترفت بالقرآن أو لم تعترف، وأظن هذا واضحًا -إن شاء الله-.

وهذه الآية بطريقة السبر والتقسيم العقلي جعلت الأقسام ثلاثة **﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾ هذا هو القسم الأول**، أي صدفة، **﴿أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ هذا القسم الثاني** أنهم خلقوا أنفسهم، **والقسم الثالث**: إذا بطلَ هذان القسمان بدليل السبر والتقسيم العقلي فلا يبقى إلا القسم الثالث وهو أنَّ الله خلقهم.

فهل يستطيع عاقل أن يقول: نعم أنا خُلقت صدفة؟ هذا لا يمكن، لأجل الاتقان العظيم في الخلق، فالصدفة تكون عشوائية ولا تكون متقنة، ونحن نرى في الخلق إتقانًا عجيبًا والصدفة لا تكون متقنة، فأي أمر يأتي عبثًا لا يكون متقنًا، فإذن بدليل الإتقان في الخلق لا يمكن أن يكون صدفة، وإنما يكون محكمًا، فالمحكم لا يأتي صدفة، وسيأتي الكلام عن الإتقان -إن شاء الله تعالى-.

أما الاحتمال الثاني أنه خلق نفسه، فيقال: عقلًا، كيف يخلق مخلوق نفسه؟ هذا يلزم منه الدور العقلي، وذلك أن تقول أنا خلقت نفسي، وقبل أن أخلق نفسي ما كنت موجودًا، فإذا لم تكن موجودًا فكيف خلقت نفسك؟ فلا يمكن القول بهذا، ثم الواقع يُكذبه، هل رأيت-في الواقع- إنسانًا خَلَق نفسه؟ هذا غير موجود، فلم يبق إلا القسم الثالث وهو أنَّ الخالق هو الله سبحانه وتعالى.

الدليل الثالث: قال الله عز وجل: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ وقال: ﴿وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ * وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾.

أؤكد أنه قد يقول قائل: كيف تحتجّ على ملحد بآية وهو يكذبها؟ فيقال: لست أحتج على الملحد بأنها آية وإنما أحتج عليه بمدلولها سواء اقتنع هو أنها من الله أو ليست من الله.

فقوله سبحانه: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ إتقان خلق الإنسان دليل ظاهر وبرهان شاهر على أنَّ الخلَّاق هو الله سبحانه، واقرأوا قليلًا في وظائف الكلى وكيف أنها تعمل هذه الوظائف الضخمة في تنقية القلب في ثوان عملًا لا تعمله الأجهزة الكبيرة، وتأمَّل في مكان العين وإتقان الله لها، تخيل لو أنَّ العين من الجهتين اليمنى واليسرى، كيف يمشي أحدنا؟ لا يمشي إلا على جنب، لكن الله أتقنها بهذه الطريقة، وانظر لإتقان خلق الله كيف جعل على العين حجابًا حتى تُحمى مما يأتيها، وهذا الحجاب يتحرك لا إراديًّا، فإذا أتاك شيء فهي مباشرة بلا إرادة تغلق بابها،

وهذا الشعر لين، وأصله مادة دهنية، فلو نتفت شعرة وجدت أنَّ أصلها مادة دهنية ويسقط الشعر إذا جفّت هذه المادة الدهنية، وتخيل أنّ الشعر ليس له مادة دهنية، فتجلس زمنًا حتى يخرج هذا الشعر ثم بلمسة لا شعورية للشعر يتكسر هذا الشعر ويتساقط، لكن الله بحكمته جعله لينًا... إلى غير ذلك من المعاني الكثيرة والكثيرة في إتقان خلق الإنسان.

وهذا الإتقان كافٍ في أنَّ لهذا الإنسان خالقًا متميزًا، وكنت أقول للملحدين في أوربا الشرقية -وقد وُلدوا ملحدين-: هل يمكن هذا الخلق المتقن يأتي صدفة؟

ابتداءً بدأوا بالاستدلال بنظرية داروين وقالوا: يمكن أن يكون صدفة، فضربت لهم مثلًا مما نقله ابن أبي العز الحنفي في شرح (الطحاوية) عن أبي حنيفة، لما كان يُناظر الدهريين المنكرين للربوبية ضربَ لهم مثلًا بوجود قارب على نهر دجلة يذهب وحده ويأتي بالزاد ويُحمّل بالمؤن ثم يعود، وهكذا، هل يمكن أن يفعل ذلك القارب وحده؟ قالوا: لا، قلت: إذا لم تتصور هذا في القارب فكيف تتصوره في الكون؟

وأيضًا كما نُقل عن أحدهم أنه واعَد الدهريين أن يناظرهم وهم خلف النهر، فتأخر عليهم ثلاثة أيام، فقالوا: كيف أنت عالم تعيبنا ولا تفي بوعدك؟ قال: قد أوفيت بوعدي وأتيت عند ساحل النهر حتى آتيكم وجلست أنتظر فجاءت خشبة ثم تلتها خشبة ثم خشبة ثم حبل ثم ... حتى صنع القارب نفسه فصعدت عليه

وأتيت به، فقالوا: أنت عالم وتكذب؟ هل يُعقل هذا؟ قال: إذا لم تعقلوا هذا في قارب فكيف تعقلونه في هذا الكون الضخم والخالق لهذا الكون كله؟ بل لخلق الإنسان ...؟

إذن إتقان الخلق دليلٌ على أنَّ هناك خالقًا متميزًا، وكنت أقول لهؤلاء: بعيدًا عن وجود أو عدم وجود الله، هذا الذي خلَقَ الكون بإتقان، هل هو مثلنا؟ قالوا: قطعًا ليس مثلنا؛ لأنه أتقن إتقانًا لا نقدر عليه، قلت: إذن هو متميز عنا جدًا؟ قالوا: نعم، فقلت: نحن نسمي هذا الله، فهو ربنا الذي خلقنا ووجدنا، ثم بيَّنت لهم، وقد أسلم ولله الحمد كثيرون في تلك البلاد.

وهؤلاء الملحدون يُعظمون هذه الأجهزة، بل بعض المتأثرين بهم من المسلمين إذا ماتَ أحدُ الصُّنَّاع لهذه الأجهزة كالجوالات أو غيرها من الإلكترونيات، يُعظِّمون هذا الرجل الذي مات ويشيدون به، لأنه صنع جهازًا إلكترونيًا، يا لله ما هذا الجهاز الإلكتروني كالجوال أو الفاكس أو الكمبيوتر ... بالنسبة إلى الله؟ كيف عظمتم هذا المخلوق وجعلتم إتقان صنعته دليلًا على ذكائه ولم تجعلوه أيها الملحدون في الباري سبحانه الذي أوجد هذا الكون المتقن؟ هذا من التناقض البيِّن.

الدليل الرابع: قال موسى -عليه السلام- لفرعون وهو ملحد، وكان يُحاج موسى وسأله: من ربك أنت وأخوك هارون؟ قال موسى: ﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾.

وجه استدلال موسى -عليه السلام-: هداية الخلق وإتقانه في الهداية، ألا ترى الشمس كيف تسير؟ ألا ترى القمر كيف يسير؟ هل اصطدمت الشمس بالقمر؟ كلا، ألا ترى بعض الحيوانات تفقس بيضتها ثم تجلس في مكانها ثم تأتيها أمها وتطعمها، بل بعضها كالسلحفاة وغيرها تخرج من بيضها من الأرض ثم تذهب مباشرة إلى الماء، فهذه الهداية العجيبة للخلق وكل شيء يسير سيرًا متقنًا من الشمس والقمر والنجوم وغير ذلك، هذا كله دليل على وجود الباري سبحانه وتعالى، وأنَّ لهذه المخلوقات خالقًا مُتقنًا، وأؤكد أنَّ النقاش مع الملحد على مدلول الكلام بغض النظر على أنه قرآن.

الدليل الخامس: قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ﴾.

وجه الدلالة: لو قيل بأنَّ الناس إنما يعيشون هذه الحياة ويموتون وينتهوا وأنه لا خالق لهم، إذن لاستوى الصالح والطالح، والمؤدَّب مع غير المؤدَّب، والمعتدي والمُؤذي مع غير ذلك، فتساوَى الناس وهذا خلاف الحكمة، والحكمة تقتضي ألا يتساوى الناس ومن أحسن يُكافأ على إحسانه ومن أساء يُعاقب على إساءته وألا يُسوَّى بينهما، لذا قال تعالى في القرآن: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [القلم: ٣٥-٣٦] فمقتضى العقل ألا يُساوى بين الصالح والطالح والمجرم والمحسن، بل يُعاقب المجرم ويُثاب المحسن ليجتهد الناس في

الحياة على الإحسان، ثم ليتمايزوا في الآخرة، فلا يستوي من أحسن في عمله بنتاجه، كمثل طالب ذاكر واجتهد في مذاكرته وأتقن جميع ما أراد المعلم له، وطالبٌ أهمل، فأتى المعلم في آخر السنة فأعطى الطالب الأول أعمال السنة كاملة وأعطى الثاني أعمال السنة كاملة، هذا بخس وظلم ساوى بين الجاد والمهمل، فإذن لا يصح أن يُساوى بينهما، فمقتضى عدم المساواة بينهما ومقتضى العقل أن يوجد هناك بعث ونشور وحساب، لذا قال تعالى: ﴿**أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ**﴾.

هذه أدلةٌ خمسة لو تدبَّر الملحد أحدها لكفى في إثبات الباري سبحانه، وأنَّ الله موجود وأنه خلق خلقه وأوجدهم، فإذا ثبت وجود الله -وهذا المهم- فهو ليس مثلنا سبحانه، فعليه: ما لم نعقِلْهُ من أفعاله لا يصح أنْ نعترض عليه بل نُسلِّم له، وعدم علمنا بالشيء ليس نفيًا له، وعدم علمنا بالحكمة ليس نفيًا للحكمة كما تقدم ذكره.

العنصر الخامس

(اعتراضات وأوهام أوقعت بعض الشباب في الإلحاد)

أؤكد أنَّ الملحدين من المسلمين قِلَّة للغاية ولله الحمد، وكثير من هؤلاء الذين ألحدوا من المسلمين هي أمراض نفسية، بل بعضهم قد تلبَّست به الجن وأفسدته، وقد حصل لي بعض القصص مع بعض هؤلاء القوم، وقد كلمني أحدهم أنَّ لديهم شابًّا ملحدًا أو شابَّة ملحدة، قلت: أول أمر اقرأوا عليهم واجتهدوا في ذلك، فقد يكون ممسوسًا أو به عين، ثم عالجوه عند الأطباء النفسيين، فإذا ثبت أنه نجا من هذه الأمور الثلاثة يبدأ الآن معه بالنقاش العقلي، وكثير منهم مُصاب بعين سبَّبت له الوسوسة والشك والإلحاد وغير ذلك، وهذا جربته بنفسي، وجرِّب وستجد كثيرًا منهم على هذه الحال، نعم يوجد منهم من دخلته الشكوك لكن ولله الحمد قِلَّة للغاية في المسلمين، بل أقل من القليل ولله الحمد.

وهذه الاعتراضات أذكرها باختصار:

الاعتراض الأول: لابد من الشك حتى يحصل اليقين، فإنَّ اليقين لا يحصل إلا بالشك، فحتى لو حصل لك اليقين فلابد أن تشك، فيقرر دعاة الإلحاد بل -وللأسف- ومن يريد أن يُعالج الإلحاد من بعض الجاهلين كعدنان إبراهيم وطارق السويدان وأمثالهما، فيقولون: لابد أن تشك، شُك أولًا ثم احصل على اليقين. وهذا من السذاجة ومن نقص العقل، وهذا مخالف للعقل والفطرة.

وأُقرِّب ذلك بمثال: لو أنَّ رجلًا أراد أن يذهب إلى بيت الرجل، فوصل إليه بعد التعب، لكنه وصل إليه وأيقن أنَّ هذا بيته، فقال قائل: أيقنت أنه بيته؟ قال: نعم. -وهو محتاج أن يدخل عليه- فقال: شُك أنه بيته وارجع مرة أخرى وتعال. فكل عاقل يقول: ما هذا الجنون؟ نحن نريد الوصول للبيت وقد تم الوصول، فلماذا تريدون أن تفسدوا الأمر؟ فهذا القول بالشك باطل، وبطلانه من أوجه:

الوجه الأول: أنَّ المقصود قد حصل، فلماذا لما حصلت الغاية أهملنا الغاية، كأنَّ الوسيلة هي المرادة، والوسيلة ليست مرادة فمعرفة الطريق ليس مرادًا لذاته وإنما المقصود الوصول لبيت الرجل، فكيف أدع الغاية والمقصد وأُبالغ في الوسيلة فأرجع إلى الشك؟ هذا من الخطأ ولا يقبله عاقل.

الوجه الثاني: إذا رجع قد لا يستطيع أن يهتدي.

الوجه الثالث: قد يرجع ويكون عارفًا للطريق لكن تأتيه الموانع، فإنَّ الموانع لا تُحصى عددًا، فلذلك القول بأنَّ من حصل له اليقين فليرجع ويشك، قول غلط عقلًا وشرعًا وهو مبالغة في الشك، وينبغي أن يُعلم أنَّ الشك ليس علمًا، وأخطأ بعضهم لما زعم أنَّ الشك علم، وهذا مشهور عند المتكلمين، فردَّ عليهم شيخ الإسلام ابن تيمية كما في (مجموع الفتاوى) وقال: الشك ليس علمًا وإنما هو طريق للعلم إذا وُفِّق، فإذا شك الرجل قد يُوفق ويحصل العلم وقد لا يُحصل العلم، وإلا هو في نفسه ليس علمًا، وهذا ما يدل عليه العقل الصحيح.

إذن أمر من كان على يقين أن يشك غلطٌ، والشك ليس مرادًا ولا علمًا وإنما المراد حصول الغاية، كوصول البيت، فكذلك من حصل له الإيمان فلا يصح أن يُدعى للشك، فقد يشك المسكين فلا يستطيع الرجوع، وقد حصل هذا، وقد يشك ويموت شاكًّا، هذا من العوارض! إذن لا يصح أن يُهمل المقصود ويُبالغ في الوسيلة.

الاعتراض الثاني: لا يوجد شيء يقيني، بل كل يقين قابل للاحتمال.

وذكر هذا كافٍ في الدلالة على سقوطه، ويتبيَّن هذا من أوجه:

الوجه الأول: أنَّ القول بأنَّ كل يقين قابل للاحتمال دعوى لا دليل عليها، فهذا الجوال-الهاتف النقال- الذي أمامك قابل ألا يكون جوالًا؟!

الوجه الثاني: أنها دعوى مناقضة للعقل، أليس الإنسان على يقين بأنه إنسان؟ هل هذا يقبل الشك؟ وجودي ووجودك أليس يقينًا، هل هذا قابل للشك والاحتمال؟ فكيف يُقال كلُّ يقين قابل للشك؟ هذا غلط ولا يصح لا عقلًا ولا واقعًا.

الوجه الثالث: لو طرد هذا الإنسان في حياته لقيل إنه مجنون أو غبي أو رُفع عنه التكليف، تخيل أنَّ رجلًا عطشان يريد أن يشرب ماءً، فلما أدرك الماء قال: يحتمل ألا يكون ماءً، ويحتمل أن يكون وقود سيارة، فتركه المسكين فهلك فمات، هل

سيرتضي فعله أحد من العقلاء؟ كلا؛ لذلك القول بأنَّ كل يقين قابل للشك غلط ومخالف للواقع والعقل، والعجيب أنَّ أمثال هذه الأمور تنطلي على الشباب لأنهم يخدعونهم ويقولون: أنت شاب مثقف ينبغي أن تكون حرًا ومتفتح الذهن وألا تكون مقيدًا بغيرك، ثم ينفخون هذا المسكين ويجعلونه قابلًا لما يقولون لأنه إن لم يقبل ما يقولون لم يكن مثقفًا ذكيًّا متميزًا، فيقبل ما يقولون، فترك ما هو عليه من اليقين واتبع شبهاتهم وأهواءهم والعياذ بالله، فبمثل هذا خدعوا هؤلاء الشباب المساكين.

الاعتراض الثالث: لا نؤمن إلا بما نراه، وما لم نره لا نؤمن به، إذن ربنا لا نراه، فلا نؤمن به.

وهذا وإن كان قد ينطلي على بعض الشباب ممن خُدعوا ونُفخوا، إلا أنه لا شيء لوجوه، منها:

الوجه الأول: نحن لم نر ربنا قطعًا، لكن رأينا الدلائل الكثيرة الكافية في الدلالة على وجوده، وتقدم الكلام على بعضها، فوجوده أظهر من وجود الشمس في رائعة النهار؛ لأنَّ إتقان هذه الشمس التي نراها في رائعة النهار هو من الله، فإتقان المخلوق دلَّ على وجود خالق مُتقن وهو ربنا سبحانه وتعالى.

الوجه الثاني: إذا التزمها صاحبها فهو ما بين جهل وغباء أو مكابرة، فكل إنسان يقرر أن له روحًا، فهل رأى روحه حتى آمن بها؟ كلا لم ير روحه، فكيف آمن بها؟

الوجه الثالث: هم يتكلمون بالعقل ويعظموه، ويزعمون أنَّ منطلقاتهم عقلية، فهل رأيت عقلك؟ الجواب لم ير عقله، فكيف آمن به وهو لم يره؟

الوجه الرابع: يلزم على قولكم أنَّ الأعمى ينبغي ألا يؤمن بأشياء كثيرة، فلا يؤمن بالشمس لأنه لم يرها، ولا يؤمن بالنهار لأنه لم يره، ولا يؤمن بالليل لأنه لم يره، إلى غير ذلك.

وفي كلامهم من البهتان والغباء أو المكابرة الشيء الكثير؛ فلذلك قولهم: لا نؤمن إلا بما نراه من أبطل الباطل.

الاعتراض الرابع: نحن نعصي الله ونُقدم على المعاصي ونشعر بالضيق والتأنيب، فحتى ترتاح ضمائرنا لنلحد وننكر وجود الله حتى لا نخشى من الله ولا نخاف منه.

وهذا سمعته من منصور النقيدان، وهو موجود في قناة فضائية ونُشر باليوتيوب، فقال: إنَّ مع الإيمان بوجود الله يبقى ضمير الإنسان يؤنبه على فعل المعاصي، لكن إذا أنكر وجوده ارتاح.

والجواب عليه من أوجه كثيرة، وهو من أسخف السخيف، وهو كما يقال: كالمستجير من الرمضاء بالنار، ويتبيَّن هذا بأوجه:

الوجه الأول: أنَّ مدلول كلامه أنه يؤمن بوجود الرب، لكن يريد أن يرتاح فأنكر وجوده، فالواقع أنه يُخادع نفسه، فإذا كنت تؤمن به وتقول أريد ألا أؤمن به حتى أرتاح بفعل المعاصي، فأنت في الحقيقة مُقرٌّ به، فأنت تخادع نفسك، هذا كمثل الطالب في الفصل يقول: إذا كان المدرس عندنا سنكون في حالة خوف ورعب من المعلم، فلنعتقد أنَّ المعلم غير موجود ولنعبث فصدقه زملاؤه فدخل المعلم فاعتقدوا أنَّ المعلم غير موجود فعبثوا فعاقبهم المعلم، فقد خدعوا أنفسهم!

الوجه الثاني: هذا القول مثل طالبين أحدهما جاد ومجتهد ويذاكر ومغتم للاختبار، والثاني مهمل لا يذاكر، فقال: وجدت أنَّ الإهمال أحسن لأنه يرتاح ولا يعيش همّ الاختبارات، أما يا من تتعب وتجتهد فإنك تعيش همًّا. فهل يقول عاقل إنَّ الثاني أحسن حالًا من الأول؟ كلا، وإنما هذا إهمال منه، فلذلك ليس الحل الهروب من الواقع، الحل معالجة نفسك مع الواقع وأن تتعايش مع الواقع التعايش الصحيح.

الوجه الثالث: من قال لك أنك إذا ألحدت سلمت من الهم؟ كلا والله، لاسيما أنه مُقر بوجود الله، لكن لنفرض أنه أنكر وجود الله، والله ليعيشنَّ همًّا رغم أنفه، فإنَّ الحيرة والشكوك وعدم البصيرة أعظم الهم، وأعظم الهم أن يسير الإنسان ولا يدري إلى أين يسير، ولا يدري من أين أتى، هذه الشكوك فيها من الهم ما الله به عليم.

الاعتراض الخامس: المبالغة في الثقة بالنفس.

يقول: بعضهم أنا عندي ثقة بنفسي ولي عقل أُميِّز به فإذن أتكلم في كل شيء. وجوابه: أنَّ الثقة بالنفس من حيث الأصل مطلبٌ شرعي، لكن لا يُبالَغ في ذلك، فالمبالغة في الثقة بالنفس تُهلك الإنسان، وكثيرًا ما يأتي دعاة الإلحاد إلى شباب المسلمين بمثل تعظيم الثقة بالنفس وتعظيم العقل، فيقولون له: أنت عاقل وذكي وشجاع ومُطّلع ... فيفسدوا هذا المسكين بأمثال هذه الكلمات، وهذا يذكرني بفعل النسويين مع النساء، فيخدعونها بقولهم: أنتِ امرأة قوية لا تبالين بأحد وضابطة لنفسك ...إلخ، فتتقدم وتُهلك نفسها.

فيخاطبون الشاب بلغة الثقة بالنفس وحرية التفكير ...إلخ، وينبغي أولًا أن يُعلم أنَّ العقل نوعان غريزي ومكتسب، والغريزي كالإناء، فيولد الإنسان معه عقل وهو إناء فارغ، ومع الأيام يتكوَّن العقل بمجموعة المعلومات والخبرات التي تحصل للإنسان من هنا وهناك، فهي مجموع تجارب ومعلومات تعلَّمها، إما شرعية أو دنيوية أو تجارب، فالعقل ينمو ويبدأ الإناء يمتلئ، وبحسب ما وُضع فيه يتميَّز العقل، فكلما وُضع فيه شيء أحسن كان العقل أكمل، وهكذا.

فكون للإنسان عقل ليس معنى هذا أن يخوض فيما لا يعرف، فمقتضى العقل: من لا يُحسن شيئًا لا يدخل فيه، ومن تكلم فيما لا يُحسن أتى بالعجائب، فلو أنَّ أحد الشباب خُدع بأنه صاحب عقل متميز فصار يعترض على الأطباء وهو لا

يعرف الطب، لضَحِكَ عليه الصغير والكبير، فكون الإنسان عاقلًا فمقتضى العقل: رحم الله امرءًا عرف قدر نفسه، فأنت تتكلم بمقدار ما تعرف لا أن تهذي وتتكلم في كل شيء، فهذا خلاف العقل، لأنه لا يمكن لأحد أن يحيط بكل شيء.

وهذا مثله كمثل رجل قوي في بدنه وهو لا يحسن السباحة، فأثنى أحدهم عليه وقال له: اسبح فأنت رجل قوي وشجاع... فالمسكين اغترَّ بكلامه فسبح في البحر وهو لا يحسن السباحة فهَلَك، فلا يلزم من كونك ذكيًّا أو ذا عقل أن تُحسن كل شيء، ولا يلزم من كونك قويًّا في بدنك أن تُحسن السباحة، فهذا شيء وذاك شيء، فإيَّاك أن تُخدع بمثل هذه الكلمات، وألا يُذَرَّ الرماد في عينك بأمثال هذه الكلمات، وألا يُعيِّشوك جوًّا خلاف جَوِّك، ثم يجروك ويوقعوك في هذه الهاويات، فحتى لو كنت ذكيًّا فليس معنى هذا أن تتعدَّى على الباري سبحانه وتعالى، فمقتضى العقل ما تقدم ذكره من الأدلة العقلية في وجود الباري، ومقتضى العقل أن يحترم الإنسان عقله، ومقتضى العقل ألا يتكلم إلا فيما يعرف، ومقتضى العقل أن يعرف كل أحد مقدار نفسه، فلا يخوض فيما لا يحسن.

الاعتراض السادس: التفاوت في أقدار الله.

يقول بعضهم: كيف نؤمن برب جعل هذا فقيرًا وهذا غنيًا، وأهلك قومًا، والآن أهل سوريا مشردون... وكل هذا قطعًا يرجع إلى فعل الرب سبحانه وتعالى، وهذا

قد يُسبِّب عند بعضهم لجهله وضعف دينه شكوكًا، ومثل هذا لا ينبغي بحال لأمور:

الأمر الأول: أنَّ الأدلة كثيرة على إثبات وجود الرب وإتقانه وإحسانه كما تقدم ذكر بعضها، فكلما أتاك هاجس الشيطان من هذا الباب ادفعه بتلك البراهين التي هي أوضح من الشمس في رائعة النهار.

الأمر الثاني: عدم العلم بالحكمة ليس نفيًا للحكمة، فاللهُ أفقَرَ أقوامًا وأغنى آخرين، وقدَّر لأقوامٍ نكبات ولأقوامٍ عزًا وغير ذلك، فهذا التفاوت له حِكَمٌ عظيمة، فعدم العلم بالحكمة ليس نفيًا لها.

الأمر الثالث: أنَّ إثبات وجود الرب الخالق سبحانه مقتضاه أنه ليس مثلنا، وأنَّ فعله فوق عقولنا وإدراكنا، لأنه أعظم منا سبحانه، فإذا كان كذلك فأفعاله قطعًا عظيمة كعِظمه، وأقداره عظيمة كعِظمه سبحانه، فعدم إدراكنا للحكمة ليس نفيًا للحكمة، لكن بمجرد إثبات هذا الرب بهذه الصفات العظيمة من الخلق وإتقانه، وأنه ليس مثلنا فعدم إدراكنا لحكمة هذه الأمور ليس نفيًا للحكمة، فكما سلمنا له ربًّا وخالقًا واعتقدنا أنه خلقنا أحسن خلق وأنه ليس مثلنا، فكذلك أفعاله ليست مثلنا ولو لم نُدركها.

ثم إنَّ لذلك حكمة عظيمة، لأنَّ من اعتقد ربًّا اعتقد أن له شرعًا ورسولًا، وأنَّ الله لا يترك الناس هملًا وأنه لابد أن يُكافئ المُحسن ويُعاقب المسيء، ولابد أن يعطي البينات والبراهين التي من سلكها أصبح محسنًا ومن خالفها أصبح مسيئًا، وهي الرُّسل والقرآن ...إلخ، فإذا كان كذلك فمما اقتضاه الله أنه خلقنا في هذه الدنيا للابتلاء والاختبار والامتحان لتميَّز الصالح من الطالح، كما أنه من باب التقريب: توضع الاختبارات للطلاب ليتميز الجاد والضابط لدروسه بالنسبة إلى غيره، فخلقنا لهذه الحكمة، قال: ﴿**الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا**﴾ [الملك: ٢] فقدَّر على أناس بعقوبات وعلى ناس بخير، وكلٌّ عاملهُ اللهُ بما تقتضيه الحكمة، فإنْ لم نُدركها فعدمُ إدراكنا للحكمة ليس نفيًا للحكمة، وعدم العلم بالشيء ليس نفيًا للعلم.

الأمر الرابع: أنَّ نظرة أمثال هؤلاء نظرةٌ قاصرة، فهي نظرةٌ دنيويةٌ فحسب، فمن نظَرَ للحياة النظرة الدنيوية وليس وراءها بعث ولا نشور فسيقول مثل هذا القول، أما من نظر إلى أنَّ هذه الحياة الدنيا بما تقدم من الأدلة على خلق الله وإتقانه ومكافأة المحسن ومعاقبة المسيء، وأنَّ وراءه حياة أطول، فلا يقول مثل هذا لأنه يعلم أنَّ ما يجري في هذه الحياة هو ابتلاء لما بعدها.

الاعتراض السابع: نظرية داروين.

أدعوك أن تقرأ هذه النظرية بتجرد من غير تعظيم لمن يخدعك، فهي نظرية ساذجة وساقطة وهاوية وهشة ولا قيمة لها ولا برهان عليها ولا دليل تقوم عليه، وقد كنت أتعجَّب لانتشارها، لكن لما علمت أنَّ وراءها الصهاينة وهم يسعون لإفساد الشعوب بكل طريقة ممكنة، لم أستغرب انتشار مثل هذه النظرية.

وخلاصة هذه النظرية: أن أصل هذا الكون كله خلية عشوائية، يعني أمرًا عشوائيًا، ومع الأيام يترتَّب، وكلما طال الزمان ترتَّب وتطور وتحسّن، وهذه النظرية قائمة على أنَّ البقاء للأكمل لأنَّ الأسوأ يزول ويبقى الأكمل، والأحسن يبقى دون الأسوأ، ومن أمثلة ذلك -بزعمهم- أنَّ أصل الإنسان كان قردًا ثم تطور فصار الإنسان الذي نراه، ومما صرَّح به داروين في هذه النظرية أنَّ البقاء للأكمل، والأكمل عند داروين الرجل الأبيض الأوربي، والرجل الأقل بياضًا ناقص، والناقص يصح أن يُباد، فسوَّغ للأوربيين البيض أن يبيدوا من دونهم في البياض فضلًا عن السود، لذا من العجيب أن يتبنَّى الرجل الأسود نظرية داروين!

وقد قيل إنَّ من مُسوغات الحرب العالمية الأولى والثانية نظرية داروين؛ لأن كل من ليس منهم فلهم أن يُبيدوه، فمن آثارها أنهم تسلطوا على السود.

وهذه النظرية فاشلة، وأول دليل على فشلها وبطلانها: أنه لا دليل على هذه النظرية؟ فلا دليل إلا كلام أجوف لا برهان عليه، فما الدليل على أنَّ أصل الكون عشوائي وخلايا عشوائية وكلما تأخر الزمن ترتَّبت؟ هذه دعوى والدعوى تحتاج إلى أدلة وبراهين وإلا رُدَّت؟

عجبًا لكم أيها الملاحدة، أنكرتم الأدلة الكثيرة والبيِّنات على وجود الباري وصدقتم هذه النظرية التي هي لا شيء؟ نظرية باطلة بكل ما تعني كلمة البطلان؟ ولا دليل عليها؟ أين البرهان؟ أين العقل؟

ثانيًا: لا يلزم من الإيمان بنظرية داروين أن يكون الرجل ملحدًا، ولا شك أنَّ النظرية كفرية؛ لأن أصل الإنسان هو آدم -عليه السلام- وقد خلقه الله ثم خلق أمنا حواء، والقرآن صريح في أنه خلق آدم وحواء وأنزلهما قال تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا**﴾ [الأعراف: ١٨٩].

وقال سبحانه: ﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾ ... إلى قوله تعالى: ﴿**وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (٣٥) فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (٣٦) فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ**

التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٣٠] فهي نظرية كفرية لمن يؤمن بالقرآن ومن آمن بنظرية داروين فهو كافر لأنه مُكذِّب للقرآن.

لكن أخاطب هؤلاء الشباب الذين ألحدوا أو الملحدين عمومًا، من قال لكم إنَّ الإيمان بنظرية داروين يقتضي الإلحاد؟ ليس في نظرية داروين ما يلزم منه الإلحاد، لذلك يوجد من النصارى من يؤمن بالرب ويؤمن بنظرية داروين الفاشلة، وإنما غاية ما فيها أنَّ الخلق وُجد من خلايا عشوائية، أي لقائل أن يقول تنزُّلًا: أنا أؤمن بالرب الذي لم يخلق هذا الخلق وتركه عمدًا، ولم يخلقه عمدًا. فإذن لا يلزم من الإيمان بنظرية داروين إنكار وجود الرب.

الخاتمة

ختامًا: أنبه إلى أمور ثلاثة:

الأمر الأول: الإقرار بالرب أمرٌ فطري، والله مهما حاول المنكرون أن يُنكرونه فلا يزال فطريًّا في نفوسهم، لا يستطيعون إنكار الرب، لذا إذا اشتكى أحد فإنه يرفع بصره إلى السماء، وكذا الحيوانات والبهائم، فهو أمرٌ فطري في النفوس مهما حاول المكابر أن يُكابر.

ومن اللطائف أنه قد حدثني بعض الإخوة قبل مدة، وهو من المسلمين الذين عاشوا في أمريكا، وقد ألحدت أخته قبل عشر سنوات تقريبًا، يقول: أختي تزوجت ملحدًا ثم أنجبت ولدًا، وولدها مريض، فكانت في حالة تألم وصارت تكلم أخاها المسلم المتديِّن أن يأتي ويقرأ على ابنها القرآن!

ثم أخذت تراجع سورة الفلق والناس وتقرأها على ولدها، ولاحظ أنها ملحدة وتزوجت ملحدًا ولما مرض ولدها لم تجد بُدًّا من هذا القرآن، فهو شيء مفطور في النفوس مهما كابروا، لذلك هي مكابرات، بل بعض هؤلاء يُثير هذه المسائل للفت الأنظار.

الأمر الثاني: الإلحاد موجود وهو ظاهرة عالمية، وموجود عند المسلمين لكنه قليل، وأوصي إخواني من طلبة العلم ألا يبالغوا في انتشار الإلحاد، فليس لازمًا أن

تبالغ في انتشاره وتكثيره في الناس، إنَّ تكثير أمثال هذه الأمور في الناس يُسهله في قلوبهم، لذلك من الأمور الشرعية أنَّ العلماء أنكروا إشاعة الفاحشة والمنكرات وبيَّنوا أنَّ إشاعاتها سببٌ من أسباب تهوينها في الناس ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [النور: ١٩] هذه فاحشة وموجودة لكن لا يصح إشاعتها حتى لا تستهينها النفوس، فكيف بالإلحاد الذي لم يصبح إلى الآن -ولله الحمد- ظاهرة في بلاد المسلمين؟ فضلًا عن دول الخليج، فضلًا عن دولة التوحيد والسنة السعودية، أعزها الله بالتوحيد والسنة وجميع دول المسلمين.

وقد خرجت إحصائيات من بعض الجهات الرسمية عندنا في الدولة وذُكر أنَّ الإلحاد ليس ظاهرة عند المسلمين، بل رأيت إحصائية كتبتها بعض الدول الغربية أنها ليست ظاهرة في المسلمين، فلا يصح المبالغة في ذلك، نعم يجب محاربة ومواجهة الإلحاد، والوقاية خير من العلاج، لكن لا تُوهموا الناس أنَّ الإلحاد انتشر فتشجعوا من لم يلحد بأن يلحد، وتسهِّلوا الإلحاد في نفوسهم.

وأخيرًا هذه كلمة للمسلمين:

ينبغي أن يُعلم أنَّ هناك أناسًا يستغلون الإلحاد في الدعوة إلى حزبيتهم، وقد كان الحزبيون قبلُ يتكلمون في الليبراليين وغير ذلك لكسب عواطف الناس، يقولون: انظروا إلينا نحارب الليبرالية أعداء الدين، فيلتف الناس حولهم، لكن مع مُضي الأيام تعاضد الحركيون والإخوان السعوديون وغير السعوديين ووضعوا أيديهم

بأيدي الليبراليين وتقاربوا معهم، كما فعل القرضاوي ومحمد عمارة، وراشد الغنوشي، وطارق السويدان، وسلمان العودة، وغيرهم من الحركيين عندنا في السعودية، فتقاربوا معهم، فأصبح الكلام في الليبراليين ليس ذا رواج مثل ذي قبل.

ولا أعني أنَّ كل من يرد على الملحدين كذلك، لكن يوجد منهم جماعة كثيرون خرجوا بالرد على الملحدين وكسب الجماهير ليلتف الشباب حولهم، وفعلًا سرى هذا بين الشباب، بل سرى بين بعض الشباب السلفيين الفضلاء، وإني أُذكرهم بالله والدار الآخرة ألا ينخدعوا بمثل هؤلاء، نعم محاربة الإلحاد مطلب شرعي لكن لا يُبالغ فيه وإنما يُحد له حده ومقداره.

ثم غاية ما في الرد على الإلحاد إثبات توحيد الربوبية الذي يُقر به أبو جهل وأبو لهب، والقرآن ما ذكر المنكرين للبعث والنشور والمنكرين للرب إلا قلة كفرعون وأمثاله من الدهريين وذكر أنَّ فرعون جحد ذلك وهو مُقرٌ له: ﴿**وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا**﴾ [النمل: ١٤] وإنما فالمعركة الحقيقية مع توحيد الألوهية، فيا دعاة الإسلام ويا طلاب العلم اشتغلوا بتوحيد الألوهية ودعوة الناس لترك الشرك الذي عمَّ وطمَّ أكثر بلاد العالم الإسلامي، بل كل بلاد العالم الإسلامي إلا من رحم الله كالسعودية وبعض الدول التي يوجد فيها محاولة لمدافعة مثل هذا.

فلذلك ينبغي أن يكون دورنا كبيرًا في دعوة الناس إلى التوحيد وإلى السنة والتحذير من البدع، فإنَّ الشرك والبدع قد شاع وطم في أكثر بلاد العالم الإسلامي.

أسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يحيينا على التوحيد والسنة، وأن يميتنا على ذلك وأن نلقى الله راضيًا عنا.